ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل
على المؤمنين ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى
في قوله تعالى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز أن يكون
الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا
لم يرعبهم وقيل لما رجعوا إلى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا
وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك أن رسول الله عليه السلام جعل أحدا خلف
ظهره واستقبل المدينة وأقام الرماة عند الجبل وأمرهم أن يثبتوا في مكانهم
ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما أقبل المشركون جعل الرماة
يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون
على آثارهم يحسونهم أي يقتلونهم قتلا ذريعا حتى إذا فشلوا والفشل
الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا
هنا وقال بعضهم لا تخالف أمر رسول الله عليه السلام فممن ثبت مكانه عبد الله
ابن جبير رضي الله عنه أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله
ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابهم ينهبون وهم الذين أرادوا الدنيا فكر
المشركون على الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير وأقبلوا على المسلمين وحالت
الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم
عنهم ليبتليكم ليمتحن صبركم على المصائب وثباتكم على الإيمان عندها ولقد
عفا عنكم لما علم من ندمكم لما فرط منكم من عصيان أمر النبي عليه السلام والله ذو فضل
على المؤمنين يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الأحوال سواء
أديل لهم أو أديل عليهم لأن الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة فإن قلت أين
متعلق حتى إذا قلت محذوف تقديره حتى إذا فشلتم منعكم نصره ويجوز أن
يكون المعنى صدقكم الله وعده إلى وقت فشلكم إذ تصعدون ولا تلوون
على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على
ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون إذ تصعدون نصب بصرفكم
أو بقوله ليبتليكم أو بإضمار اذكر والإصعاد الذهاب في الأرض والإبعاد فيه
يقال صعد في الجبل وأصعد في الأرض يقال أصعدنا من مكة إلى المدينة
وقرأ الحسن رحمة الله عليه تصعدون يعني في الجبل وتعضد الأولى قراءة
أبي إذ تصعدون في الوادي وقرأ أبو حيوة تصعّدون بفتح التاء وتشديد
العين من تصعّد في السلم وقرأ الحسن تلون بواو واحدة وقد ذكرنا
وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول إليّ
عباد الله إليّ عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة في أخراكم في ساقتكم وجماعتكم
الأخرى وهي المتأخرة يقال جئت في أخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم
وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الأولى فأثابكم عطف على صرفكم أي فجازاكم الله
غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما أرجف به من قتل رسول الله عليه
السلام والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا

لتتمرنوا

لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت
من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول
عليه السلام أي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة
وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتممتموه لأجله
ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره وإنما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم
لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما أصابكم من غلبة العدو ثم أنزل
عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم
أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر
من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون
لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين
كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص
ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور أنزل الله الأمن على المؤمنين
وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن أبي طلحة
غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه
ثم يسقط فيأخذه وما منا أحد إلا يميل تحت حجفته وعن الزبير رضي الله عنه لقد
رأيتني مع رسول الله عليه السلام حين اشتد علينا الخوف فأرسل الله علينا النوم
والله إني لأسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني يقول لو كان لنا
من الأمر شيء ما قتلنا ههنا والأمنة الأمن وقرئ أمنة بسكون الميم كأنها
المرة من الأمن ونعاسا بدل من أمنة ويجوز أن يكون هو المفعول وأمنة حالا
منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا أو مفعولا له بمعنى نعستم أمنة
ويجوز أن يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه جمع آمن كبارّ
وبررة يغشى قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس أو على الأمنة طائفة منكم
هم أهل الصدق واليقين وطائفة هم المنافقون قد أهمتهم أنفسهم لا هم الدين
ولا هم رسول الله عليه السلام والمسلمين أو قد أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في
الهموم والأشجان فهم في التشاكي والتباكي غير الحق في حكم المصدر ومعناه
يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز
أن يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا
القول غير ما تقول وهذا القول لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل
صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز أن يراد ظن أهل الجاهلية أي لا يظن
مثل ذلك الظن إلا أهل الشرك الجاهلون بالله يقولون لرسول الله عليه السلام
يسألونه هل لنا من الأمر من شيء معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله
نصيب قط يعنون النصر والإظهار على العدو قل إن الأمر كله لله ولأوليائه
المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وإن جندنا لهم الغالبون
يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الأمر
من شيء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون في أنفسهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1